مرجعيات التعليل بين ابن جني والخليل.
دراسة تحليلية وموازنة بين منهجيهما في التعليل.

أ– د: رشيد حليم

جامعة تبسة

إن الاتجاه إلى التساؤل والبحث عن كنه الموجودات أمر غريزي في الإنسان الذي يعيش في ظروف طبيعية، فهو يحاول دائما الإحاطة بمدركات واقعه وتفسيرها.

ويلجأ الإنسان بحيزته عند رؤيته حدثا إلى الاستفهام عن علة وقوعه وسبب حدوثه، والباحث في أي مجال معرفي أكثر نزوعا إلى هذا الأسلوب، متيقنا في نفسه أن لكل ظاهرة حادثة، ولكل معلول علة.

إن مبدأ العلية أصل فطري في جوهر الذات الإنسانية التي تسعى إلى الكشف عن غوامض الأحداث، رغبة في معرفة لبسها حتى يبطل عجبها. ولذلك لا تخلو المعرفة مهما كان نوعها من أي نزعة تبريرية.

والتعليل أسلوب شائع عند جميع الشعوب، وتتمتع به كل اللغات المنطوقة، وقد يرتبط بالمعاني الكلية لعبارة التساؤل (لماذا) أو (كيف)، طلبا للعلم أو معرفة شيء ما كان مجهولا[1].

والعربية شبيهة بجميع اللغات تتمتع بأضرب من الصياغات لقواعد البرهان المتعلق بتبرير القواعد وتفسيرها، والبحث عن ذرائع لاستخدماتها من خلال ما تجمعه من أدوات، وما تقيده من سياقات ،يؤدى بها تعليل الأشياء.

إن التعليل سمة لغوية، شهدها اللسان العربي مند القدم، ولقد وقر في نفوس اللغويين القدامى أن الأعراب كانوا يدركون علل ما يقولون، وأنهم كانوا يعللون

بعض ما يقولون، ومن ثمة جعل النحاة نص العربي على العلة أو إيمائه إليها، مسلكا من مسالك العلة.[2]

فالفصحاء يدركون العلة في مواضع استعمالاتهم بالفطرة، وإذا كانت العرب تعرف العلل، فلا بد أن تكون أمة حكيمة، ومن ثمة يصبح الكشف عنها نوعا من بيان حكمة العرب. هذا وقد دعا الاستاذ تمام حسان إلى حسن إقامة موازنة منهجية بين نظرة الخليل في التعليل وبين تأصيل ابن جني في الغرض نفسه[3]، منبها على وجود تمايز منهجي بين تنظير العالمين لموضوع العلة.[4] إضافة إلى جزئيات أشرنا إليها في تطرقنا إلى منهج الخليل في التعليل، وقد استمد منه الخالفون – ومنهم ابن جني – كثيرا من الأفكار العلمية[5].

ومن ثمة تجد مقالتنا شرعة التطرق إلى بحث هذا الموضوع من زاوية منهجية، وأخرى من زاوية الموازنة بين رؤيتين علميتين مختلفتين لرجلين من أعظم ما أنجبت الحضارة الإسلامية جدة في التأصيل لعلوم العربية وسبقا في التنظير لأسسها، على اختلاف في الامتداد الزمني، إذ ينتمي الأول إلى منطلقات الثقافة العربية، بينما يتنسب الثاني إلى الطور المشرق للحضارة العربية الإسلامية الذي بلغته في القرن الرابع الهجري.

أولا: مفهوم التعليل:

التعليل أسلوب لغوي يفيد التقرير والأبلغية[6] فهو نوع من أنواع التأكيد لبلوغ درجة التثبت والاطمئنان بصحة الخبر أو الحكم، وذكر الشيء معللا يقوي تأثيره في النفس وثقتها به[7]. من ذلك أن إثبات الحكم معللا أشد تأثيرا من إثباته مجردا من التعليل، وقد كانت آيات الذكر الحكيم تومئ إلى تعليل الأحكام بالفعل عند ذكر حكمها وبيان مقصدها. فدلالة الخمر هي كل ما يذهب بالعقل سواء كان سائلها أم يابسا أم غازيا، وهذه الأشياء متشابهة في الأثر، فحكمها واحد وهو التحريم المطلق، أما تعليل تحريمها فإن تفضي إلى الفتنة والنزاع. ولعل ذكر هذا

الأمر وحده لا يحمل متعاطوها على على تركها، فقد ذكر أعظم من ذلك، وهو الصد عن طاعة الله وعن أداء الفرائض، وهذا أمر مهول مفض إلى الكفر والخروج عن سلطان الشريعة كما يضبطه النص القطعي من كتابه عز وجل: (وإنما يريد الشيطان أن يوقّع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون) [8]

1- والتعليل في اللغة سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد مرة، وتعلل بالأمر واعتل، تشاغل، وعلله بطعام وحديث ونحوهما، تشغله بهما، وتعلل به أي تلهي به.[9]

ويقصد بالعلة في اللغة معاني متعددة، ذكرها بعض أصحاب المعاجم منها ما تفيد:

- الداء والمرض، عن ابن الأعرابي، عل الرجل يعل من المرض[10].

- الحدث الشاغل: إذ صار شغلا ثانيا منع صاحبه عن شغله الأول[11] فتغير حاله بحلوله.

وعلى الجمع بين المعنيين، الأول والثاني، ذكر الفيومي (ت 770 هـ) قال: العلة المرض الشاغل والجمع علل، وأعلله الله فهو معلول[12] .

- الحجة، قالها الفارابي، ومنقولة عنه، إذ تمسك بالحجة، جعله ذا علة، ومنه اعتلالات الفقهاء، واعتلالاتهم[13] أي أدلتهم في مسائل التشريع.

- العذر، أي الترخيص نحو قول العرب في المثل: "لا تعدم خرقاء علة[14]. ويضرب هذا المثل لكل من يعتل ويعتذر وهو يقدر، فوضع العلة موضع العذر. [15]

- السبب: فيقال هذا علة لهذا، أي سبب له، وجاء في تعريفهم للسبب، هو ما يتوصل به إلى غيره [16].

هذا التفسيرحسي، فالسبب هو الحبل الذي يستعمل لتوصيل الماء من البئر، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، فبوجود الحبل(السبب) يحصل التوصل إلى الماء، فيحدث تغيير.

وجاء في التاج أيضا نقلا عن خالد بن جنبة "لا يدعي الحبل سببا حتى يصعد به، وينحدر به[17].

وصرح ابن منظور أن العلة قد ترد بمعنى السبب، مستدلا بمقولة عائشة –ض– قالت: كان عبد الرحمن يضرب رجلي بعلة الراحلة أي بسببها، يظهر أنه يضرب جنب البعير برجله، وإنما يضرب رجلي[18].

2– اصطلاحا:

أ– عند المناطقة:

المنطق صناعة معرفية ذهنية تتخذ من الحجج والاستدلالات معاول للوصول إلى تجلية الحقيقة في أبلغ صورها، وينسب هذا النوع من التفكير العلمي إلى رائد الفلسفة اليونانية أرسطو حيث يرى بعض الدارسين أن فلسفته العقلية إنما استمدها من ترعرعه في بيئة التنظير اللغوي. فقد قيل إن أرسطو قد تأثر بأبحاث النحويين الاغريق في منطقه[19]

إن العلة عنصر أساسي من عناصر المنهج الأرسطي، وهي ترتبط عنده بالمعرفة عموما وقد فصل الحديث عنها، حين جعلها أربع علل:

- مادية: وهي التي يجاب بها عن: ما الشيء؟
- صورية: وهي التي يجاب بها عن: كيف؟
- فاعلية: وهي التي يجاب بها عن من فعل الشيء؟
- غائية: وهي التي يجاب بها عن: لم؟[20]

والحق، فإن التعليل كان من الأصول الأولى للدرس اللغوي العربي وظل يتطور بفضل مؤثرات الثقافات الوافدة حتى برز التعليل الأرسطي واضحا عند

متأخري النحاة، أبرزهم الاستراباذي (ت 686 هـ)، خاصة تعليله للمعمولات، نحو تبريره نصب المفعول له.[21]

وكتب ابن جني تبرز تأثره بالمنطق، وفي منهج العلل أكثر بروزا حيث انتهى في موضوع شرحها وبيان ضروبها إلى أن علل النحويين قريبة من علل المتكلمين، وهي تقوم في جوهرها على فهم الأسباب المادية في اللغة، وهي من مجملها علل غائية جاءت نتيجة للاستقراء اللغوي الذي انتهى إلى وجود علل يمكن تحديدها في الاستعمال.[22]

ب- عند الفقهاء :

العلة عند علماء الفقه هي الركن المهم من أركان القياس، ولقد كانت فيها دراسات أبانت عن مفاهيمها وأقسامها وقوادحها ومسالكها.

ورد في مفهومها عند بعض الأصوليين: إنها تبين علة الحكم الشرعي، وكيفية استنباطها واستخراجها بالاجتهاد[23].

ولقد امتد تأثير علم أصول الفقه إلى مجالات الدرس اللغوي العربي، وكان في مجال المنهجي أعمق تأثيرا، وقد أكد أحد الباحثين هذه الحقيقة بقوله: "وظهر سلطان العلوم الدينية على التفكير النحوي حتى اعترف النحاة بأنهم احتذوا في أصولهم أصول الفقه.[24]

وسار في محاكاة تأصيلهم بعض النحويين، فتلمسوا كثيرا من ضوابط العلة الفقهية في تبريرهم لقواعد العربية، كما تلمح في حديث ابن جني عن التشابه بين العلة الفقهية ونظيرتها النحوية، قال: فقد نجد أيضا في علل الفقه ما يوضح أمره، وتعرف علته، نحو رجم الزاني وذلك لتحصين الفروج وارتفاع الشك في الأولاد والنسل، فما هذه صورته من عللهم جار مجرى علل النحويين.[25]

ثانيا: منهج التعليل عند ابن جني والخليل:

كان التعليل في مراحله الأولى يتمثل في البحث عن الأسباب التي كانت تكمن وراء الظاهرة اللغوية والقاعدة النحوية، وهو تعليل بسيط إذ كان يبحث عن تفسير للظاهرة اللغوية وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه [26].

ولقد وقف نحاة العربية القدامى من منهج التعليل موقفين متميزين، لمح إليهما بعض الباحثين[27]، موقف تزعمه الخليل بن أحمد [ت 170 هـ] وموقف حمل رايته ابن جني [ت 392 هـ].

1- التعليل عند الخليل:

هناك نظرة علمية منهجية مرتبطة بجهد الخليل، وهي تصورُ لموقف علماء زمانه، حيث كان علماء القرن الثاني للهجرة- أمثال ابن أبي إسحاق (ت 117 هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)- يعتبرون البحث في موضوع العلل إنما هو استقصاء للأسباب التي أوجدتها، إذ كان الخليل يعتقد في أن العلل إنما هي احتمالية غير مجزوم بها[28]، أو هي مجرد أدوات لإدراك قواعد اللغة وضبط أحكامها.

كان تصور طبقة الخليل مرتكزا على أن العرب تعرف العلة منّة وطباعا، فقد أُرخ لأبي عمرو بن العلاء في أنه أول من دون تعليلات الأعراب سماعاعنهم، فقد روى الأصمعي (ت 216 هـ) عنه تسجيلا قال فيه: سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب, جاء ته كتابي فأحتقرها. فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليس بصحيفة؟ .[29]

هذا التعليل إنما هو طلب للفهم الذي ابتغاه المنظرون الأوائل مسوغا لقواعد البحث للمتعلمين، ودافعا إلى النظر في مقاصد العرب من استعمالاتها، وفيما تتعاطاه في كلامها، وقد دافع ابن جني عن هذا التعليل الفطري الذي تلمسه جيل الخليل فقال: أفتراك تريد من أبي عمرو وطبقته، وقد نظروا، وتدبروا، وقاسوا وتصرفوا أن يسمعوا أعرابيا جافيا غفلا يعلل هذا الموضع بهذه العلة، ويحتج

لتأنيث المذكر لما ذكره، فلا يهتاجوا هم لمثله، ولا يسلكوا في طريقته، فيقولوا فعلوا كذا لكذا، ووضعوا كذا لكذا، وقد شرع لهم العربي ذلك ووقفهم على سمته وأمه [30]

.

نقر بأن الخليل كان اعظم علماء عصره في الاعتداد بهذا المنهج, وقد أقامه على أسس لغوية سليمة لا يغفل جديتها دارس ولا يغمط أهميتها باحث، تجلى فيما خلفه من أثار علمية.

في هذا المجال، للخليل وثائق علمية هامة تشير إلى عمله في تقعيده لأبواب العلة، وتساهم في التنظير لمبادئها. ومن أشهر تلك الكتب المنسوبة إلى الخليل نذكر كتابه العين، وكتاب سيبويه، ومقالة أوردها الزجاجي (ت 337 هـ) في نقل طويل[31] ولم نعثر فيما وقع بين أيدنا من أنكر نسبة هذا النقل.

أما كتاب العين فهو أول معجم عرفته العربية، وقد علل تسميته بنظام ترتيبه المتفرد ولطف نظام صنعته فيه، حيث اتبع طريقة فذة لا يصمد لها، ولا يصبر عليها إلا الأفذاذ من العلماء، لأنها تعتمد مخارج الحروف، وهذه النهجة فيها عسر على الباحث ومشقته على الدارس، وقد أشار ابن منظور في مقدمة معجمه لسان العرب إلى صعوبة هذه المدرسة التي تعرف بمدرسة التقليبات الصوتية بقوله "كان واضعه شرع للناس موردا عذبا، وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه"[32] .

وثاني هاتين الوثيقتين كتاب سيبويه (ت 180 هـ)، وهو كتاب عظيم في قضايا اللغة كان لأبي بشر الفضل الأكبر في أن عمله فيه الجمع والتسجيل، وأما الخلق والابتكار فقد كانا من نصيب الخليل في الاعم مما اشتمل عليه كتاب سيبويه.[33]

في هذا المصنف البديع، تجلت عبقرية الخليل في التأصيل لعلوم العربية، وقد قيل إنه الأساس في نشأة الحركة النحوية، وأول من استخدم مصطلح النحو

في آثاره العلمية[34]، وقيل أكثر من ذلك. وصفه السيوطي بسعة الاطلاع والتنظير لعلوم العربية، وأكد أن دوره في بناء النظرية النحوية يضعه في منزلة بين النحاة لم يبلغها أحد قبله ولا أحد بعده.[35]

والوثيقة الثالثة: هو النص الوارد في إيضاح الزجاجي المنسوب إلى الخليل، وفيه تصور الخليل لمنهج العلة على أنه بناء كامل وصرح شامل، متماسك العناصر، مؤتلف الأجزاء، محكم الصياغة منسجم الأعضاء، متحد الأقسام، لكل قسم من أقسامه غاية ولكل عنصر من عناصره سبب وهدف، حتى أشار بعضهم إلى ريادة الخليل في تأسيسه لهذا المنهج فقال أحدهم "والخليل بن أحمد لا ينكر فضله في استنباط ما لم يسبق إليه في علم العروض وعلل النحو".[36]

– قال الزجاجي "وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد –رحمه الله– سئل عن العلل التي يعتل بها، فقيل له عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا لما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست [...] وإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها"[37].

هذا التوجيه المنهجي يشير بدقة إلى أن اهتمام الخليل كان موجها إلى الدرس اللغوي، وليس للعلة من حيث هي، كما ينبئ عن واقع عمل الخليل في بسطه لمنهج العلة، حيث تنعطف إلى المعنى الكلي الذي كان بعض النحويين السابقين يريدونه من الأسباب الداعية إلى وجوب تلك الأحكام، وهذا في حقيقته يدلنا على المفاهيم العامة التي سطرها الخليل لعملية التعليل ومنطلقاتها الأساسية، وهي – كما نعتقد– تقوم على:

- ملاحظة الظواهر ورصدها بدقة كما جاءت في خطاب القوم.

- تصنيف الظواهر اللغوية حسب طبيعة كل ظاهرة ثم استظهار القاعدة التي تفسر متشابه الظواهر.

- القول بأن التعليل عملية نسبية، فيمكن أن يوافق النحوي مقصد العرب، وممكن أن يحالفه الخطأ، فيحيد في تعليله عما عنيته العرب في حديثها، ومن ثمة يفتح باب آخر للاجتهاد والنظر في مجال البحث والدراسة، وهذا الذي تصوره الخليل، أشادت به المناهج الحديثة في اعتماد سلطان الشك، والقول بنظرية الاحتمال والنسبية.

لقد كان ذلك الاجتهاد علامة على تفوق الخليل في بناء درس العربية، وقد بلغ في طريقته بحثه هذا شأوا عاليا أبهر دراسي العربية من بعده حتى وصفوه بأنه سيد العرب وسيد علمائها[38] وكيف لا يكون كذلك، وهو الذي بسط النحو وسهل غاياته في تصحيح أقيسته وتعليل مسالكه واستخلاص أحكامه[39].

هذا المنهج التعليلي الذي وصفه الخليل وامتد في أعمال جمهور النحويين، منهج مستمد من طبيعة الهدف الذي يرمي إليه البحث النحوي، وهو استنباط جملة القواعد والقوانين التي تحكم لغة العرب في صياغة ألفاظها وتراكيبها.

ومثل هذا التقعيد المنهجي الذي سيره الخليل جاء مطابقا لما ثبت في الدراسات اللغوية الحديثة، وتجلى فيما انتهى إليه المحققون من علماء اللغة المحدثين، وهو ما يؤدي بنا إلى القول إن منهج العلة الذي قعده الخليل يصلح أن يكون قانونا شاملا لجميع اللغات، وهذا واضح، فالرجل متميز في علمه، وعلمه فوق عقله، فهو بكلمة جاملة: أعلم الناس وأذكاهم وأفضل الناس وأتقاهم[40].

2- التعليل عند ابن جني :

حاول ابن جني أن يبحث في جوهر العلل النحوية، فكانت مؤلفاته معرضا للكثير من صور التعليل، وقد شهد العلماء أن الرجل كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنف في ذلك كتبا أبر بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين[41]. والجديد في مبحث العلة عند ابن جني، أنه ربطه بمباحث كلية في أصول العربية، فقد درس آثار القدامى، وأدرك أن علماء العربية السابقين قصّروا في التأصيل لأصول النحو، فكان أسبقهم في وضع مبادئ من معارف عصره، يقول في الخصائص: "وذلك أنا لم نر أحدا من علماء "البلدين"[42] تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه".[43]

والعلة أصل شهير من أصول منهجه في دراسة العربية، فهو يحاول بكل ما أوتي من قوة ذهن أن يتحدث عن كل علة لغوية ظاهرة أو خفية وتبريرها، وإيجاد المسوغ الصحيح لها، فكان من أشهر من عني بتسجيل الأصول، فقد تناول معظم أصول النحو بالدراسة[44] خاصة في كتابه الخصائص.

وكتاب الخصائص على حسب رأى مؤلفه من أشرف ما صنف في علم العربية وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة، ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة.[45] والخصائص كتاب مشهور على قول أحد الباحثين، حيث اعتبره كنزا في أصول اللغة ومناهج البحث فيها[46].

وجديد منهجه أيضا، صياغته من مؤثرات البيئة العربية كما تلمسه من خارجها، فقد اعتبر أن منهج التعليل وثيق الصلة بمنهجي علم الكلام وأصول الفقه.

ثالثا: التعليل بين ابن جني والخليل

الناظر في مسألة العلل التي صاغها الخليل وابن جني يرى أنهاقد تمثل نظرتين متميزتين تظهران تخالفا في التأصيل المنهجي لدرس العربية القديم؛ بيد أن

إسقاطات المنهج اللساني الحديث تعترف بأن جهد العالمين في هذا المنحى سديد، ومتكامل.

**من حيث المرجع: (Référent)

يبدو أن الذي قام في نفوس العرب سليقة وملكة، والذي جاء به النحاة تجريد وصنعة ومحاولة وصف لهذه السليقة والملكة. ولذلك كان مرجع الخليل في منهجه إلى تعليل الأعراب، ومرجع ابن جني إلى تعليل المتكلمين والفقهاء.

فالعلة الكلامية غائية تكتشف عن تلازم عقلي بينها وبين المعلول، فالعلاقة بينها وبين المعلول علاقة مصاحبة في الوجود.

أما العلة النحوية فهي حسية تكشف عن نتيجة الاستقراء، وقد تكون لازمة وقد لا تكون كذلك، بمعنى أن العربي، وفق مرجع الخليل، يتكلم على سجيته والاستقراء يتم أولا ثم يأتي النحوي بعد ذلك ليشرح العلل.[47]

فالخليل ينطلق في تعليلاته من الكلام العربي، وما كان يدور في خلجات نفسه، حيث كانت آراؤه مستمدة من حسه وخبرته بنفسية العربي بعيدا عن قضايا المنطق، حيث لم تكن بلغت أشدها، فيكون لها في النحو أثر، وفي تفكير النحويين سبيل.[48]

وتعليل ابن جني من احتذاء المعرفة الفلسفية، فكانت العلة عنده ألصق بالمنطق الأرسطي التجريدي.

ولعل ذلك ما قصده في قوله إن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنهم يحيليون على الحس.[49]

****من حيث وصف العلة:**

التعليل عند الخليل قائم في معظمه على ملاحظة الظواهر اللغوية، وهو الأصل الذي يقوم عليه التعليل، وهو إذا ما اقترنت ظاهرتان وجودا أو عدما، فإن العلماء يعتبرون إحدى الظاهرتين سببا للأخرى، فالعلة عند الخليل ترادف لفظة السبب.

أما ابن جني، فيفرق بين العلة والسبب، فما كان ضروريا وموجبا ولا تطيق النفس في معناه غيره اتخذ صورة العلة وما كان غير ضروري، وحمل معنى الإجازة كان سببا. (50)

فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ولكنه لا يدور كذلك مع السبب، فالفرق بين العلة والسبب فرق في التأثير أي أن العلة تعتبر بالمصطلح الحديث: Dépend variable أما السبب فهو: Indépendant variable (51).

****وظيفية التعليل:**

إن العلل التي اعتل بها الخليل إنما هي علل لغوية صرفة، تقتصر على تبرير طرائق التركيب اللغوي وتعليله بما يتلاءم وحقيقة تشكيله، وكانت تبدو في قوله: هكذا قالت العرب، أو قراءة الأعراب.(52)

وهذا الضرب هو المؤدّى من كلام العرب، ولذلك تسمى هذه العلة، بالعلة الصورية، وهي تركة عصر النشأة الأولى.

أما العلل التي وظفها ابن جني، فهي من تركة عصر التحول العلمي الذي أصاب الدرس النحوي من طابع البحث العلمي إلى طابع التلقين والتعليم، فكانت علل درسه غائية أي علة العلة، نحو لما صار الفاعل مرفوعا؟ والمفعول به منصوبا(53).

فالأولى تعليمية تفيد حكما نحويا، زيد مرفوع لأنه فاعل في جاء زيد.

الثانية: تركيبية: تقول إن الاختلاف في الحركة بين الفاعل والمفعول إنما جاء للفرق بينهما.

والترجيح هو ما نخلص إليه في هذا العمل، هو أن الصواب أن يقال: كذا نطقت العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من كلام العرب المتواتر، فهذا التعليل هو الذي قصده الخليل، وكان ثمارا مبكرة للدرس النحوي، وهذه العلة هي التي تسمى علة السماع، وقد لحب بها المنهج الوصفي وأكد على صحة منهجها. وقبول هذا المنهج يؤكد على أن الخليل عالم لا معلم.

أما موقف ابن جني فيكشف عن نظرة تعليمية غير علمية هذا ما استخلصه تمام حسان، مستدلا بأن العلل التي ساقها هي: في جملتها غائية، وقبولها يضع هذا الرجل في زمرة المعلمين لا زمرة الباحثين، وصلاحيتها تعليله تكون في قاعة الدرس[54].

هذا الاستنتاج غير دقيق، فالعلل الغائية، وإن رفضها بعض المتعلقين بالمنهج الوصفي[55]، فإن أنصار المنهج التوليدي التحويلي يقبلونها ويرونها ضرورية لتعميق الفهم.[56] وكان الخليل قد أخذ بشيء من صور هذا التعليل العقلي لأنه من اتباع مذهب أبي حنفية، وكان ابن جني ممن يناصره، إضافة إلى أن الخليل نفسه كلامي[57].

إضافة إلى أن الثقافة العربية في مراحلها الأولى ليست خلوا من النظر العقلي الغائي.

هذان الموقفان المختلفان في الظاهر المتكاملان في الأسس والأهداف ينبئان عن ضخامة التراث المنهجي عند علماء العربية الذي ما زال يمد الثقافة اللسانية بروافد علمية مفيدة وهامة.

الهوامش

1 – je an du bois et autres, dictionnaire de la linguistique. la rousse 1994 p 82.

2– د– تمام حسان، الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1982، ص177

3– الأصول، ص 182، تعليقه رقم: 2

4– م ن ص 185، تعليقه رقم :2

5– رشيد حليم، التعليل عند الخليل، مقاربة منهجية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الثاني (جويلية، سبتمبر 2002) العربية السعودية ص 104

6– جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) الاتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، طبعة المشهد الحسيني مصر 1967،ج3، ص 552.

7– د. هادي نهرة، التراكيب اللغوية في العربية، دراسة وصفية تطبيقية، مطبعة الإرشاد، بغداد 1976، ص 47.

8– المائدة : 91/5

9– ابن منظور [ت 711 هـ] لسان العرب، طبعة دار صادر، ط3، بيروت، 1994، ج11، ص 467، مادة (علل)

10– م ن، ص ن

11– محب الدين أبو الفيض الحسيني الزبيدي (ت 816 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر (1306 هـ) ج 8.

12– محمد علي الفيومي، المصباح المنير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، طبعة دار المعارف، ط2، القاهرة، ص 426، وينظر لسان العرب، ج11، ص 470.

13– م ن، ص ن

14– أبو هلال العسكري، (ت 395 هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، طبعة دار الجيل، بيروت 1988، ج3، ص 379.

15– لسان العرب، ج11، ص 471.

16– تاج العروس، ج8، ص 293.

17– م ن، ص ن.

18- لسان العرب ج 11، ص 471.
19- جول تريكو، المنطق الصوري، ترجمة محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 37،38
20- د.عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج طبعة دار النهضة العربية، بيروت، ص 80.
21- شرح الرضى على الكافية طبعة درا الكتب العلمية، بيروت 1985، ج2، ص 192
22- محمد مصطفى شبلي، تعليل الأحكام، طبعة دار النهضة العربية، ط1، بيروت 1981، ص 112.
23- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، (د-ت)، ج1، ص 48.
24- د.سعيد الأفغاني في أصول النحو، ط1، دمشق 1964، ص 108.
25- الخصائص، ج1، ص 50، 51.
26- د. محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، جامعة تشرين، سوريا 1979.
27- الأصول، ص 182، 185، وينظر د.محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص 59.
28- د. علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، منشورات الجامعة الليبية، 1973 ص 168.
29- الخصائص ح1 ص 249.
30- م ن، ص ن.
31- الإيضاح في علل النحو، طبعة دار النفائس، ط3، بيروت 1979، ص 65-66.
32- سلان العرب، ج1، ص 7.
33- الأصول ص 237.
34- د. عبد الفتاح الدجني، أبو الأسود الدؤلي، ونشأة النحو العربي، ط1، دار القلم، بيروت 1974، ص 63.
35 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق مولي جاد الحق به ورفاقيه المكتبة العصرية، بيروت 1987، ج1، ص401.
36- إبن الأنباري (ت 577 هـ) نزهة الأنباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السمرائي، مكتبة الأندلس، بغداد 1970، ص 45
37- الإيضاح في علل النحو، ص 65- 66.

38- الخصائص ج 1، ص 361.
39- د. منى إلياس، القياس في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 22.
40- المزهر ح 1، ص 401.
41- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت 1993، ج4، ص 1586.
42- علماء البلدين: يقصد علماء مدرستي البصرة والكوفة الشهيرتين.
43- الخصائص ج1، ص2.
44- الأصول، ص7.
45- الخصائص ج1، ص1.
46- د. محمد حسن عبد العزيز، مصادر البحث اللغوي، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، ط1، الكويت 1997، ص 256.
47- الأصول، ص 178.
48- د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، طبعة دار الثقافة، بيروت 1972 م، ص 127 .
49- الخصائص، ج1، ص 237.
50- م ن، ج1، ص 48
51- الأصول، ص182.
52- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، 1988 ج 2، ص 187.
53- الخصائص، ج1، ص148
54- الأصول، ص 187.
55- د.محمد عيد، أصول النحو العربي ورأى ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، طبعة عالم الكتب، ط4، القاهرة 1989 ص 98.
56- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 143.
57- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، طبعة دار الرائد العربي، بيروت 1986، ص 41.